قراءةٌ في كتابِ

سوسيولوجيا الغزلِ العربيِّ (الشعر العذريُّ نموذجاً)

للطاهرُ لبيب

م. د. علي جبار جلوب العيساوي

وزارة التربية

تاريخ الاستلام: ١٢-١٠-٢٠٢١

تاريخ القبول: ٢٩ -١١- ٢٠٢١

DR. Ali Jabbar Chaloop AL- Essawy

Ministry of Education

lalysawy40@ gmail.com

الملخص:

مما لاشك فيه أن هنالك دراسات كثيرة تناولت البنيوية التكوينية في مجالات عدة، إلا إن اهميتها كمنهج وإجراء يجعلنا نُعيد البحث فيها وعرضها على بعض الأعمال التي قد تساعدنا في كشف ما هو مضمر، أو الوصول إلى دلالة جديدة من خلال تطبيق الإجراءات والفحص في كتاب(سوسيولوجيا الغزل العربي، الشعر العذري نموذجاً) للطاهر لبيب، فجاء هذا البحث على محاور أربعة: كان لمفهوم سوسيولوجيا الأدب الصدارة فيها، لتكون مدخلا للمحاور اللاحقة ومنها الوقوف على منهج البنيوية التكوينية عند **غولدمان** والذي كان عنوانا للمحور الثاني، ومن ثم التعرف بصورة سريعة على الأدوات الإجرائية للبنيوية التكوينية، وبعدها الانتقال إلى المحور الرابع والذي يُعدّ المحور التطبيقي للتعرف على مدى توافقية منهج الطاهر لبيب مع **غولدمان**.

الكلمات المفتاحية: غولدمان ـ منهج ـ البنيوية التكوينية ـ التوليد ـ الاجراءات ـ الطاهر لبيب.

Summary:

Undoubtedly, there are many studies that dealt with formative architecture in several fields, but its importance as a method and procedure makes us re-examine it and present it to some works that may help us reveal what is implicit, or reach a new indication through the application of procedures and examination, so this research came On four axes: The concept of sociology of literature was at the fore in it, to be an introduction to the subsequent axes, including standing on Goldman's formative structural approach, which was the title of the second axis, and then quickly identifying the procedural tools of formative structuralism, and then moving to the fourth axis, which is the applied axis On the compatibility of Taher Al-Labib's approach with Goldman .

Keywords: Goldman - Curriculum - Formative Structuralism - Obstetrics - Procedures - Taher Labeb.

المحـــور الأول :

مفهوم سوسيولوجيا الأدب.

مما لا شك فيه أن هنالك دراسات كثيرة قد تناولت مفهوم سوسيولوجيا الأدب وعرّفت به، إلا أن أهمية الموضوع جعلتنا نعيد هذه الدراسة للوقوف على ماهيتها وتأثيرها في النص، ومدى الاستفادة منها في كشف خبايا النصوص الأدبية والمساعدة على معرفتها، وقد حدّها أصحاب الشأن بأنها دراسة البنية الفكرية والمجتمعية للنص؛ للكشف عن درجة تمثل النصوص الإبداعية لفكر المجموعة الاجتماعية، التي ينتمي إليها صاحب النص(١).

ويقصد بسيسيولوجيا الأدب التعامل مع الظواهر والوقائع الأدبية تعاملا اجتماعيا فهما وتفسيرا وتأويلا، بربط الأدب بالمؤسسات الاجتماعية، ودراسة الإبداعات الفنية والجمالية في ضوء سياقها المجتمعي، ورصد مختلف العلاقات المباشرة وغير المباشرة التي تصل الأدب بالمجتمع(٢).

وتهدف سوسيولوجيا الأدب إلى(ممارسة قراءة ذات طابع خصوصي إزاء النص الأدبي، تحترم استقلاليته باعتباره شكلا جماليا) (٣)لا يبتعد كثيرا عمّا اراد له الأديب.

وهذا يعني أن القراءة السوسيولوجية هي التي تربط الأدب بالمجتمع، ولكن ليس في ضوء الانعكاس المباشر، وإنما قراءتهُ بطريقة جمالية مستقلة في علاقة بالواقع الاجتماعي، فضلا عن أن **غولدمان** لا يَعدّ الأثر

الأدبي انعكاسا للوعي الجماعي، ويرفض بشدة كلمة الانعكاس ويفضّل عليها تعبير الرابطة الوظيفية[٤]، ومن ثم يرى **كلود دوشيه** أن القراءة السوسيونقدية هي التي تجمع بين النصية أو الجمالية الأدبية والواقع الاجتماعي، أي تمزج بين الأدب كبِنية جمالية مستقلة والمعطى السوسيولوجي، كما هو حال البنيوية التكوينية **للوسيان غولدمان** الذي يماثل بين البنية الأدبية المستقلة والبنية الاجتماعية المستقلة بدورها عن طريق الانعكاس غير المباشر[٥].

ولابد ان نعلم ان التكوين هو(البحث عن العلاقة بين النص الأدبي ورؤية مبدعه والتاريخ)[٦]، وأن البنيوية التكوينية تنطلق من(الفرضية القائلة أن كل سلوك إنساني هو محاولة إعطاء جواب دلالي على موقف خاص ينتزع به إلى ايجاد توازن بين الفاعل والموضوع الذي يتناوله، أي العالم المحيط، ويحتفظ هذا النزوع نحو الموازنة على الدوام بطابع متغير مؤقت)[٧] ما يساعد على تولد نزعة جديدة لعدم كفاية التوازن القديم.

وهكذا يتبين لنا أن سوسيولوجيا الأدب تتعامل مع اللاوعي الاجتماعي داخل النص الأدبي عَبر الجمع بين النصية والاجتماعية، ومن هنا يتم الاعتماد على المرجعيات التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ضمن لاوعي اجتماعي، يتجسد داخل نص أدبي فني وجمالي.

ومن ثم، تنطلق هذه السيسيولوجيا من المقاربة الاجتماعية في دراسة الظواهر الأدبية فهماً وشرحاً وتفسيراً وتأويلاً، فـ(لطالما سعى علم الاجتماع منذ نشأة الماركسية وعلم اجتماع المعرفة الذي أسس له **كارل مانهايم** فيما بين الحربين العالميتين الى تفسير النصوص السياسية، والفلسفية، والأدبية، بالنظر الى سياقاتها الاجتماعية)[٨] التي ولدت فيها.

المحور الثاني:

منهج البنيوية التكوينية عند غولدمان.

لا جرم من الدخول إلى خفايا النقاد والمفكرين الذين كان لهم أثرا كبيرا في إرساء المناهج النقدية الحديثة ومنها منهج البنيوية التكوينية للتعرف على الإضافات التي حصلت على البنيوية وتطورها وما الحق بها من تراكمات نصية وآراء نقدية وأيدولوجيات فكرية ربما حاولت طمس هذا المنهج، ومن هنا نحاول التعرف عن كثب على الناقد الفرنسي غولدمان.

لوسيان غولدمان (١٩١٣-١٩٧٠)هو مفكر وناقد فرنسي من أصل روماني، عُيّن مساعداً لـ(جان بياجيه) في جامعة جنيف، إذ تأثر بأعماله حول البنيوية التكوينية، ويُعد نشاطه الفلسفي والنقدي امتدادا فكريا لأعمال **جورج لوكاش**، وقد استطاع **غولدمان** أن يفهم الأبعاد الفلسفية والنقدية **للوكاش**، وانمازت أعماله بتركيزها على علم اجتماع المعرفة وعلم اجتماع الأدب، وساعده اطلاعه الواسع على الفلسفة الألمانية على ابتكار منهجية جديدة ساعدت في دراسة الأدب وهي السوسيولوجيا الجدلية للأدب وبعد ذلك أطلق عليها اسم البنيوية التكوينية[٩].

وبعد تحرير فرنسا عاد **غولدمان** إلى باريس، وحصل على عمل كباحث في المركز الوطني للبحث العلمي، وهيّأ رسالة دكتوراه في الأدب بعنوان (الإله المختفي: دراسة للرؤيا المأساوية لأفكار باسكال ومسرح

راسين) عام ١٩٥٦، فأثار بها ضجّة كبيرة في النقد الحديث في فرنسا، ثم وضع كتابه (أبحاث جدلية) عام ١٩٥٩، وكان قد نشر كتابه (العلوم الإنسانية والفلسفية) عام ١٩٥٢.

أصدر كتابه (من أجل علم اجتماع للرواية) عام ١٩٦٤، ثم وضع (البنيات الذهنية والإبداع الثقافي)عام١٩٦٧، و(الماركسية والعلوم الإنسانية) عام ١٩٧٠[١٠].

وكل هذه الأنشطة جعلته معروفاً كأحد ممثلي الفكر النقدي، إذ إنه استطاع أن يتجاوز مأزق البنيوية الشكلية إلى النص المفتوح على مرجعيته، عَبر أبحاثه السوسيولوجية التي جعلها الخطوة التالية للمنهج البنيوي، والتي شكلت منهجه النقدي الذي تفرّد به وأسس له[١١].

ويجدر الإشارة إلى أن منهجه في تطبيق المادية الجدلية على دراسة الأدب قد حقق هدفين في وقت واحد:

* فقد أنقذ البنيوية الشكلية من انغلاقها على النص المنقود وحده.

* أنقذ المنهج الاجتماعي من إيديولوجيته التي كانت تُقيّم الأدب من وجهة نظرها هي فحسب[١٢].

فجاء **(المنهج البنيوي التكويني)** منهجاً علمياً موضوعياً يؤكد على العلاقات القائمة بين النتاج والمجموعة الاجتماعية التي ولِد النتاج في أحضانها، وهذه العلاقات لا تتعلق بمضمون الحياة الاجتماعية والإبداع الأدبي، وإنما بالبنيات الذهنية التي هي ظواهر اجتماعية، لا فردية، وهذه البنيات الذهنية ليست بنيات شعورية أو لا شعورية، وإنما هي بنيات عمليات غير واعية[١٣]، وقد نتفق ورأي بعضهم في تلخيص منهجية **غولدمان** على انه(أي تأمل في العلوم الإنسانية لابد من أن ينطلق من داخل المجتمع لا من خارجه وأن التأمل لابد من أن يغير الحياة الاجتماعية بما يحرزه من تقدم في علاقاته الجدلية بها، وأن الظواهر الثقافية أبنية تتولد عن أبنية أوسع ترجع إلى العلاقات الاجتماعية نفسها)[١٤]، وبهذا يتضح لنا ارتباط النص بالمجتمع.

وقد أراد **غولدمان** لهذه المنهجية أن تكون[١٥]:

١- منهجية تحاول البحث عن العلاقات الرابطة بين الأثر الأدبي وسياقه الاجتماعي/الاقتصادي الذي سبق تكوينه، ولا ينظر إلى هذه العلاقات على أنها مجرد تساوق أو توازن بين بنية الأثر الأدبي وبين شروط انتاجه الاجتماعية والاقتصادية، وإنما هي اندماج تدريجي بين سلسلة الجمل أو الكليات النسبية.
٢- -ولمفهوم التماسك عند غولدمان أهمية في منهجه فقد أشار إلى وجود تماسك داخلي للنظام المفهومي كما توجد مجموعة من المخلوقات الحية في الأثر الأدبي.

ومن هنا فإن إدراكها لا يمكن أن يتحقق بواسطة دراسة النوايا الشعورية للمبدع، ولا بواسطة تحليل محايث، وإنما بوساطة بحث بنيوي، ذلك أن الفرد الذي يعبّر عن الطبقة الاجتماعية، وعن رؤيتها للعالم، إنما يتصرّف انطلاقاً من هذه البنيات الذهنية التي تسود المجموعة التي يعبّر عنها[١٦].

المحور الثالث

الأدوات الإجرائية للبنيوية التكوينية

أعتمد **غولدمان** في بنيويته التكوينية على نقاط أساسية لا بد من الانطلاق منها في سبيل الوصول إلى تحليل النص الأدبي تحليلا سوسيولوجيا وفق رؤيته لذلك النص الأدبي وضرورة ربط تلك الرؤية بالواقع الاجتماعي الذي انبثق منه النص.

١- رؤية العالم:

هي مفتاح الفهم(الغولدماني)، وتكمن أهميتها عندما ندرك أن الإبداع يشكّل جزءا من العلاقات الاجتماعية، ولا يمكن إدراكه إلا من خلال رؤية العالم الخاصة بالمبدع، إذ تمثل (رؤية العالم) حلقة وسط بين الطبقة الاجتماعية، والأعمال الأدبية، فالطبقة تعبر من خلال رؤيتها للعالم، وهذه الرؤية تعبّر عن نفسها عَبر العمل الأدبي، وبذلك يمكن عدّ علاقة العمل الأدبي بالطبقة الاجتماعية علاقة وثيقة، وأنه محصلة لهذه الطبقة، وشدّد على هذه العلاقة، فقال:(إن كل عمل أدبي عظيم ينطوي على رؤية للعالم تنظم عالم العمل الأدبي... ولذلك يجب على المرء أن يكشف– في كل عمل فني عظيم حقا– عن القيم المرفوضة التي تقمعها الرؤية التي تصنع وحدة العمل، فيكشف عن التضحيات التي يعانيها البشر في سبيل رفض هذه القيم وقمعها)[١٧].

فتصوّر(غولدمان) للعمل الأدبي ينطلق من منظور مادي جدلي، فالعمل الأدبي هو التعبير عن رؤية للعالم، لذلك فهو لا يعبّر عن مؤلف فرد، وإنما عن الجماعة التي ينتمي إليها الأديب، ويعبّر عن رؤيتها وتطلعاتها للعالم سواء أكان بطريقة شعورية أم لا شعورية[١٨]؛ ولذلك فإن الذات الجماعية هي المناسبة للتعبير عن رؤية العالم، إذ يجب التخلي عن الـ(أنا) والتعبير بالـ(نحن) من أجل تحقق (رؤية العالم) المعبرة عن طبقة اجتماعية معينة؛ لكون(تجربة الفرد وحده قصيرة ومحدودة جداً بحيث لا تستطيع أن تخلق رؤية العالم التي هي من صنع ذات جماعية مجاوزة للفرد الذي هو طرف فاعل فيها ضمن المجموعة الاجتماعية التي ينتمي إليها)[١٩] ومن هنا جاء تعريفه لها بقوله: هي(بالتحديد هذا المجموع من التطلعات والأحاسيس والأفكار التي توحد أعضاء مجموعة معينة وفي الأغلب طبقة اجتماعية، وتجعلهم في تعارض مع المجموعات الأخرى)[٢٠].

٢- البنية الدلالية:

أما البنية الدلالية فهي بنية تعمل على دراسة مجموعة من الأفعال البشرية وفهمها من زاويتين متكاملتين، الأولى تركيب البنية من أجل إيجاد بنية جديدة، والثانية تفكيك البنى القديمة التي تحققت في الماضي، والتي كانت تصبو إليها المجموعة الاجتماعية نفسها قبل ذلك[٢١].

ولهذا فإن تركيب البنية يعمل على إيجاد التوازن والتواصل بين الفرد والمجموعة التي ينتمي إليها؛ ولذلك كان يردد بأن علينا أن ندرك أن لكل بنية دلالة، وأن هذه الدلالة نتاج ذات فاعلة ومحققة لوظيفة، فإذا حذفنا الذات واستبعدنا الوظيفة دمرنا دلالة البنية، وحولناها إلى مجرد نسق جبري مغلق[٢٢].

ويمكن القول إن لكل عمل أدبي وظيفة دالة عند مبدعه، ويعني هذا أن البنيوية التكوينية منهج يشتغل على مستويين متلاحمين، داخل العمل الأدبي وخارجه؛ فهو منهج لا يفهم العمل الأدبي إلا من حيث هو نسق من العلاقات المتلاحمة داخليا، ولكنه لا يفهم هذا النسق على أنه مغلق، مستقلا عن غيره، بل يفهمه من حيث هو وظيفة دالة على مستوى التلاحم الداخلي في العمل نفسه(٢٣).

لذا وجب على الباحث الذي يتبنى التحليل البنيوي التكويني أن يقوم بعمليتين إحداهما مكملة للأخرى: الأولى أن يبحث عن المقومات الأساسية التي تعطي العمل الفني وحدته، أو بنيته الدلالية، وتقوم هذه الوحدة على دراسة مختلف العناصر المكونة للعمل، والعملية الثانية هي أن يقيم صلة مستمرة بين البنية الدلالية من جهة، ورؤى العالم وفق منظور الطبقات الاجتماعية والبنية الذهنية وإطارها الاجتماعي والاقتصادي في مرحلة تاريخية من جهة أخرى(٢٤).

ويعني هذا أن البنيوية التكوينية تهدف إلى ربط النص الأدبي بحركة التاريخ الاجتماعي الذي ظهر فيه، وهذا ما يساعدنا على فهم البنية الدلالية للعمل الأدبي بصورة شمولية، بحيث يستحيل علينا أن نفهم الجزء دون ارتباطه بالكل، فالجزء مرتبط بالكل، ويستحيل فهمه على حده، دون إحالته إلى مجمل النص الذي يجمع كافة الإجابات الاجتماعية والتاريخية التي تشكل رؤية معينة للعالم في تضاعيف النص(٢٥).

٣- الفهم والشرح:

فعملية الفهم تكون مهمتها توضيح البنية الدلالية البسيطة نسبيا أو المحايثة للأثر الأدبي، أما عملية الشرح أو التفسير فتكمن مهمتها في إقامة العلاقة بين الأثر الأدبي والواقع الخارجي(٢٦).

ويقول **غولدمان**:(إن الشرح يتصل تحديدا بما يتجاوز نص العمل الأدبي، أما التفسير[الفهم] فإنه ملازم لنص العمل الأدبي؛ ذلك لأن فهم الظاهرة هو وصف بنيتها وعزل معناها. أما شرح الظاهرة فهو الإبانة عن تولدها على أساس من وظيفة تنطلق من ذات)(٢٧)، وبذلك يتبين مدى قرب عملية التفسير في الوصول إلى تحقيق العلاقة بين النص الأدبي ومبدعه.

إلا أن الحركة ما بين(الفهم) و(الشرح) ليست حركة متعاقبة تسير في اتجاه أفقي لا يتكرر، وإنما هي حركة متعاكسة، فنحن ننطلق من(الفهم) إلى(الشرح)، ثم نعدل في(الفهم) في ضوء(الشرح)، وهكذا حتى نصل إلى أدق إدراك للبنية الدالة في العمل المدروس، وهذا يتفق ومن يقول:(إن الفهم يتعلق بالتماسك الباطني للنص، وهو يفترض ان نتناول النص حرفيا، ولا شيء غير النص، وان نبحث داخله عن بنية شاملة ذات دلالة، أما التفسير فمسألة تتعلق بالبحث في الذات الفردية أو الجماعية التي تمتلك البنية الذهنية المنتظمة للعمل الأدبي)(٢٨)، وهذا ما يبين العلاقة بين الفهم والتفسير.

٤- الوعي الممكن والوعي الفعلي:

(الوعي الفعلي) هو الوعي الذي يرتبط بالمشكلات التي تعاني منها الطبقة، من حيث علاقاتها المتعارضة ببقية الطبقات، ونستطيع أن نقول أنه متعلق بالظرف لكونه مرتبط بعلاقة المجتمع بالظرف التي

تعيشه لمحاولة فهم الواقع وتفسيره، لذا فهو يعدّ(الوعي الموجود تجريبيا على مستوى السلب وينحصر في مجرد وعي بالحاضر)[٢٩]، أما(الوعي الممكن) فيرتبط بالتصورات التي تطرحها الطبقة لتحل مشكلاتها وتصل إلى درجة من التوازن المنطقي في العلاقات مع مختلف الطبقات، وحينما يبلغ (الوعي الممكن) درجة التلاحم الداخلي التي تصنع كلية متجانسة من التصورات عن القضايا التي تواجهها الطبقة وكيفية حلّها، يصبح(الوعي الممكن) رؤية للعالم.

٥- التماسك والانسجام:

إن(التماسك) يمثل ميزة من مميزات المنهج البنيوي التكويني، فهو لا يعنى بوصف البنية الكلية للعمل الأدبي، والبنى الفرعية المكونة لها، بل يسعى إلى ربطها بالبنى الذهنية للجماعة[٣٠]، التي يعبّر بها هذا العمل عن رؤيتها للعالم؛ هذه الرؤية التي هي حصيلة لجملة البنى الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعيش فيها الجماعة، ومن هنا ندرك أن(رؤية العالم) هي التي تحقق(التماسك) بمعناه الوظيفي[٣١].

المحـــور الرابع.

توافقية منهج الطاهر لبيب مع غولدمان.

لابد من الوقوف عند شخصية الطاهر لبيب ولو باليسير ليمكننا الانطلاق إلى منهجه، فهو كاتب تونسي، مثقف بالثقافة الفرنسية، له كتاب(**سوسيولوجيا الغزل العربي: الشعر العذري نموذجاً**) باللغة الفرنسية عام ١٩٧٢م، ثم تُرجم من قِبل حافظ الجمالي عام١٩٨١، وراجع الترجمة مصطفى المسناوي، وطرح الباحث من المشكلات أكثر مما يحلّ، ومما يُأخذ على الأدب العربي أنه يهتم تقليدياً بمظاهر ثانوية للإبداع، وأنه قد انقاد لايدلوجية الأحكام التقليدية الموروثة، ولهذا ظل في منأى عن المحاولات المنهجية الجديدة التي لم يُكتب لها التطور[٣٢].

منهجية الطاهر لبيب:

يتبين عَبر اطلاعنا السريع على كتاب(**سوسيولوجيا الغزل العربي– الشعر العذري نموذجا**) أن الباحث قد استوحى منهجه من مقولات المنهج البنيوي التكويني، إذ كان منطلقه في البحث(هو أنه لا ينبغي مساءلة الشاعر بل مساءلة شعره، ومن ثم فأن موضوعه هو التحليل المحايث للأثر، أي الإبانة عن شبكة الدلالات الباطنية) [٣٣].

وقد يتبين من هذا الكلام أنه يقصد تحليل الأثر الأدبي من الداخل، ليظهر رؤية خاصة للعالم عند(جماعة العذريين)، وكأنها تمثل نواة وعي جمعي لجماعة اجتماعية عاشت في زمكانين معينين.

وعند الاطلاع على محتوى الكتاب نجده قد تألف من أبواب أربعة: **الأول** منها حمل عنوان(الجوهر) والذي انقسم إلى فصلين الأول: تناول اللغة العربية والحياة الجنسية، والذي اعتمد فيه على ما قاله المستشرقون المناوئون للإسلام والمعارضون لهم، ومنهم المستشرق(**بوسكي**) صاحب كتاب(الأخلاق الجنسية في الإسلام)، **وسنوك هورغرونجه** الذي كان يرى (أنه لا قانون في الإسلام)، وكذلك و**تور أندريه** الذي كان يدّعي أن(لا عبادة في الإسلام)، وأن تأثير هؤلاء المستشرقين على الباحث وافكاره جعلته يقع في أخطاء منها قضية يوسف التي أفرد لها فصلا بعنوان(يوسف المثال القرآن المحكم) بأنها أسطورة، وهناك من يرى أن هذا الفصل انشغل بالبحث عن الماقبل الذي أنتج المابعد[٣٤].

وقد نجد في هذه البداية لمطلع الكتاب ضعف في الرؤية الناتجة من الأخذ من المصادر غير المسؤولة والمتحاملة على الدين الإسلامي.

وبهذا التعبير نجده قد جانب الحقيقة التي جاء بها القرآن الكريم من أن ما حدث بين يوسف وزوج العزيز من حركات وسكون أحالها إلى يوسف دون زوج عزيز مصر، وإنها ما هي إلا إشباع جنسي من قِبل يوسف مقابل عدم إشباع الطرف الآخر، وهنا يعكس عجز زوجها عزيز مصر عن إشباع تلك الغريزة أو الحاجة.

وفيما يخص **الباب الثاني** الذي كان بعنوان(الثبات والتكوين) فقد قسمه على فصلين الأول منه: (البنية والدلالة) إذ يرى الباحث أن (البنية) هي جملة من العناصر الأساسية تقوم فيما بينها شبكة من العلاقات المتقابلة، بحيث إذا تغيّر عنصر منها أو حُذف، فإن العناصر الأخرى تغيّر دلالتها بصورة موازية، وتختلف هذه البنية من عمل إلى آخر، وقد أثار سؤالا مهما وهو(ما العلاقة الموجودة بين الكون الادبي والعالم الواقعي؟)[٣٥] وبذلك نجده قد استبعد مفهوم الانعكاس، للإجابة عن هذا السؤال؛ هو(الاهتمامات المفرطة بأن نستخرج من العمل معلومات تاريخية محضة... [من ثم] ننتهي الى حلقة مفرغة: أي الى إضاءات العمل بمعطيات تاريخية)[٣٦].

وقد عوض عن نظرية الانعكاس بمفهوم التماثل البنيوي، وهو مفهوم إجرائي أراد منه **غولدمان** بأن العمل الأدبي لا يعكس وقائع اجتماعية وتاريخية، وإنما هي تماثل بنيوي مع البنية الذهنية للجماعة، أو الطبقة الاجتماعية التي ينشأ بها الشاعر.

أما الفصل الثاني الذي جاء بعنوان(التطور من الملحمي الى العذري) فقد درس الباحث مجموعة(الشعراء العذريين) في الأدب العربي عبر نتاجهم الشعري، كزمرة اجتماعية معبّرة عن غرض شعري واحد، مستفيداً من آراء المستشرقين **فاديه ويلاشير**، اللذين لاحظا موضوعات عدة في شعر الغزل العربي، منها: وقوف الشاعر على الأطلال، وذكرى الخلاّن، والفراق الأليم، وطيف الخيال، وجمال المرأة، واللحظات السعيدة.

ومما تطرق له هذا الفصل هو أحد مصطلحات البنيوية التكوينية أو مفاهيمها وهي(الرؤيا المأساوية) والتي بُنيت قيمتها على الحرمان والتهميش[٣٧]، والتي تمثل لها الباحث في قضية الموت بين الشاعر الجاهلي أو

ما أطلق عليه الملحمي وبين الشاعر الاسلامي وما ترتب على ذلك تحرر الشاعر من المعايير الخارجية حينما جاء الإسلام بأفكاره الجديدة، والتي حوّلت الموت مثلا من حالة تراجيدية إلى حالة من الرضا، بوصفها بداية للحياة الأبدية الخالدة.

_ وفي **الباب الثالث** المعنون بـ(الكون العذري) نجده قد انتقل إلى مرحلة أخرى ألا وهي مرحلة التفسير؛ لدراسة البنية الاجتماعية للمجتمع الإسلامي في العصر الأموي بوصفه يشكل الحيز الأكبر لبني عذرة؛ لكونهم ذات عمل أدبي مشترك نحو هذا الكون العذري، وجسّد الباحث هذا الكلام بقوله(هو أن العمل الأدبي كون رمزي تنشئه زمرة اجتماعية يمثلها المؤلف ولها موقف مشترك اتجاه هذا الكون الذي ترتبط بنيته أن كانت متماسكة بالقدر الكافي بعلاقة تماثل مع بنية عالم الزمرة الواقعي)[٣٨]، وقد يتبين أن هذا التعريف للعمل الأدبي هو تعريف البنيوية التكوينية للأدب.

وهذا ما جاء به (غولدمان في كتابه(الإله الخفي) [٣٩] أنه كلما تعلق الأمر بإيجاد بنية تحتية لفلسفة أو لتيار أدبي أو فني ما انتهينا لا إلى جيل أو أمة أو دين ما(...) بل الى طبقة اجتماعية وإلى علاقتها مع المجتمع) [٤٠].

وقسم الباب الثالث على خمسة فصول الأول منها: (التعريف) أي التعريف بالزمرة، عَبر قوله(نحن لا نعني بكلمة زمرة مجرد جماعة تتألف جغرافيا من عدد محدد من الاشخاص بل نسقا من العلاقات ذات الدلالة التي يستند إليه أفراد الزمرة في تأويل علاقتهم بالأخرين والبحث عن حلول للمشاكل الخاصة بهم) [٤١]، ونجد هذا التعريف عند **غولدمان** بتفصيلاته كلها.

أما الفصل الثاني(محاولة التجاوز) فلم نعثر على تطبيق حقيقي لمنهج **غولدمان**، إذ إنه تطرق إلى تجاوز الشاعر جميع مرجعياته في حال خروجه من الجماعة، فتصبح الحبيبة الرابط الأوحد له في الحياة عَبر التغزل بها في أحلك ساعات حياته وهي ساعة ملاقاة العدو في ساحات الوغى، وكذلك يموت الرجل من شدة ما يُعاني، ما يؤدي ذلك إلى موت الحبيبة، وهذه هي قصة عروة الذي أحب ابنة عمه عفراء، لكن أباها زوّجها غيره، فتاه عروة، ومات وحيداً في وادي القرى، وحينما علمت عفراء بموته ماتت هي أيضاً فوق قبره.

وهذا ما وجدناه مجسّدا في الفصل الثالث الذي حمل عنوان(عقيدة التوحيد والحبيبة الوحيدة) إذ طبّق الباحث مفهوم التماثل الغولدماني الكامن في العلاقة بين وحدانية الإله كما وردت في القرآن الكريم والتصور العذري للحبيبة الوحيدة، كما يظهره العالم الشعري للعذريين، وهذا ما وجدناه مطبّقا من قِبل الباحث في الفصل الرابع(دلالة التماثل).

ومثال ذلك التماثل الذي جاء به الباحث هو بيت شعري لمجنون ليلى يقول فيه: (الطويل)

أراني إذا صلّيتُ يمّمتُ نحوها بوجهي وإن كان المصلّى ورائيا

وما بي إشراكٌ ولكن حبّها وعُظم الجوَى أعيا الطبيبَ المداويا[٤٢]

وهذا يجسّد وحدانية الله وتصّور الحبيبة الوحيدة، وهذا التماثل تأثير إسلامي مشخص، وقد رافق هذا تزايد تقديس الحبيبة الواحدة.

وقد تناول في الفصل الخامس(العفة: شعر هي أم حقيقة) الذي وصل فيه إلى أن العفة مسألة زائفة؛ لكون الحب عند العذريين تعبيرا جمعيا عن الصراع بين العفة والرغبة المباشرة، أو ما أُطلق عليه(الجمال والعفة)[٤٣] ومسألة العفة لديهم ليست نتيجة ورع ديني؛ لأن الدين الإسلامي يشجع على الزواج وهذا أمر في مكنة العذريين، فضلا عن ذلك أن الشاعر العذري يتحدث في كثير من الأحيان عن جسد حبيبته برغبة جنسية، إذ نجدهم في كثير من قصائدهم وصف لمفاتن جسم الحبيبة، فالاتصال بينه وبين حبيبته لا يكون إلا في القسم الأعلى من جسدها، وأنها تمثل رغبة جنسية معدلة تحكم **(الوعي الممكن)** عند هذه الجماعة، ويخلص الباحث هنا في ميدان العفة والدين إلى أنه(يرفض كل تفسير من شأنه أن يربط العفة بالدين، فالعفة موجودة في الشعر وليس في الواقع) [٤٤].

أما **الباب الرابع** (الزمرة العذرية) الذي تناول فيه العصر وبني عذرة والاستراتيجية الجنسية وفرضية التهميش اللغوي، وفيها انتقل الباحث من مرحلة **(الفهم)** إلى مرحلة **(التفسير الغولدماني)**، بدراسة البنية الاجتماعية في (عصر بني أمية)، بوصفه يمثل العصر الأوسع لزمرة بني عذرة، وفي إطار مكاني محدد وهو (وادي القرى) والموقع الجغرافي الذي يضعها وسطا بين حضر الحجاز وبين بدو الصحراء، وهذا ما جعلهم يعيشون الهامشية الثقافية والاقتصادية، ومن هذا الحرمان ولد لديهم حرمانا جنسيا.

أما التهميش الثقافي الذي تعرض له العذريون فينصب في استعمالهم للبحور الشعرية كوجه مقابلة بين الشعر البدوي والشعر الحضري، فجاء الشعر العذري(استعمالا وسيطا للبحور الشعرية فالبحور الغنائية أكثر تواترا لديهم مما هي لدى البدو إلا أنها أقل تواترا مما لدى الحضر)[٤٥].

وكأن الزمرة العذرية قد فقدت مرجعيتها الاجتماعية، وقطعت صلاتها بالفضاء البدوي والحضري فأصبحت أسيرة لعالمها المثالي، ومن هنا تكرست لديها كما يقول غولدمان، ويصفها بالرؤيا المأساوية.

الخاتمة :

بعد هذه الإطلالة السريعة لمفهوم سوسيولوجيا الأدب، وما جاء به **غولدمان** من منهج وعرضه على ما جاء به الطاهر لبيب في كتابة سوسيولوجيا الغزلِ العربيِّ– الغزل العذريُّ نموذجاً، وما عُرضت من إجراءات نصل إلى مجموعة من النتائج منها:

- إن الباحث قد استوحى منهجه من مقولات المنهج البنيوي التكويني، القائم على عدم مُساءَلة الشاعر إنما شعره .
- إن تأثير المستشرقين على الباحث وأفكاره جعلته يقع في أخطاء تتعلق بالقصص القرآنية التي نظر إليها بوصفها أسطورة .
- وقد نجد في بداية مطلع الكتاب ضعف في الرؤية الناتجة من الأخذ من المصادر غير المسؤولة والمتحاملة على الدين الإسلامي.
- استبعد الباحث مفهوم الانعكاس عن العلاقة الموجودة بين الكون الأدبي والعالم الواقعي، وقد عوّض عن نظرية الانعكاس بمفهوم التماثل البنيوي.
- يرى الباحث أن العفة مسألة زائفة؛ لكون الحُبّ عند العذريين تعبيرا جمعيا عن الصراع بين العفة والرغبة المباشرة .
- نجد أن الباحث قد طبّق منهج **غولدمان** في أغلب فصول هذا الكتاب، وأنه استطاع أن يخرج بنتائج جديدة، قد تجانب بعضها الحقيقة والمنطق.

الهوامش:

(١)– ينظر: مدخل الى سوسيولوجيا الأدب العربي، محي الدين أبو شقرا، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت– لبنان، ٢٠٠٥م:٥٨–٥٩ .

(٢)– م. ن : ٥٩ .

(٣)– نظريات القراءة ، رولان بارت وآخرون ، ترجمة: عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار، اللاذقية، سورية، ط١، ٢٠٠٣م:٦٣–٦٤.

(٤)– ينظر: تأصيل النص المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان: ١١.

(٥)– ينظر: م.ن:٧٢.

(٦)– البنيوية التكوينية في المقاربات النقدية العربية المعاصرة، نور الدين صدار، عالم الكتب الحديث للنشر، ط١، الاردن، ٢٠١٨م : ٦٢.

(٧) – مقدمات في سوسيولوجيا الرواية، لوسيان غولدمان، تر: بدر الدين عرودكي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٣م :٢٢٩.

(٨) – النص والمجتمع آفاق علم اجتماع النقد، بيار ف . زيما، تر:انطوان أبو زيد، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت– لبنان، ٢٠١٣م :١٧.

(٩)– ينظر: تأصيل النص المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان، محمد نديم خشفة، مركز الانماء الحضاري، ط١، ١٩٩٧م: ٩.

(١٠)– ينظر: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، مجموعة من النقاد الغربيين، تر: محمد سبيلا، مؤسسة الابحاث العربية،ط٢، بيروت– لبنان، ١٩٨٦م: ١١– ١٢ .

(١١)– ينظر: سوسيولوجيا الأدب، يوسف الانطاكي، تق: محمد حافظ ادياب، ط١، روية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م: ١٨– ١٩ .

(١٢)– ينظر: في البنيوية التركيبية– دراسة في منهج لوسيان غولدمان، د.جمال شحيد، دار ابن رشد، ط١، بيروت، لبنان ، ١٩٨٢.:٧٦..

(١٣)– المذاهب النقدية الحديثة– مدخل فلسفي، محمد شبل الكومي، تقديم: محمد عناني، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ط١، مصر ، ٢٠٠٤ :٢٠٤.

(١٤)– عصر البنيوية، اديث كيرزيل، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، ط١، ١٩٩٣م:٢٧٧.

(١٥)– ينظر: تأصيل النص المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان: ١١.

(١٦)– المذاهب النقدية الحديثة– مدخل فلسفي : ٢٠٤ .

(١٧) نظريات معاصرة، د. جابر عصفور، دار المدى، سوريا، ط١، ١٩٩٨.:١٦٥.

(١٨) ينظر: التحليل الاجتماعي للأدب، السيد يس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة:١٧٠.

(١٩)– نظريات معاصرة: ٩٢

(٢٠) البنيوية التكوينية والنقد الأدبي:٥٦.

(٢١) ينظر: في البنيوية التركيبية:٨٥–٨٦.

(٢٢) ينظر : نظريات معاصرة:١٤١–١٤٢.

(٢٣) ينظر: م.ن: ١٢٢–١٢٣.

(٢٤) ينظر: دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي و د. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ٢٠٠٢.:٧٨.

(٢٥) ينظر: في البنيوية التركيبية:٤ –٨١.

(٢٦)– ينظر: تأصيل النص المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان: ١١.

(٢٧) نظريات معاصرة:١٢٩.

(٢٨)– تحليل الخطاب الادبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية(دراسة في نقد النقد)، محمد عزام، اتحاد الكتاب العرب، سوريا– دمشق، ٢٠٠٣م:٢٣٢.

(٢٩)– نظريات معاصرة :١١٠.

(٣٠)– ينظر: التحليل الاجتماعي للأدب:٢٤.

(٣١) – ينظر: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي: ٥٧.

(٣٢) – ينظر: سوسيولوجيا الغزل العربي : ٤ .

(٣٣)– سوسيولوجيا الغزل العربي: ٦ .

(٣٤)– ينظر: البنيوية التكوينية في المقاربات النقدية العربية المعاصرة: ١٧٢.

(٣٥)– سوسيولوجيا الغزل العربي: ٣٤ .

(٣٦)– م.ن: ٣٤ .

(٣٧)– ينظر: البنيوية التكوينية في المقاربات النقدية العربية المعاصرة: ١٧١.

(٣٨)– سوسيولوجيا الغزل العربي : ٦٩ .

(٣٩)– وهو كتاب اخذ فيه غولدمان بالحسبان كل النقد الذي وجه الى التحليلات الماركسية المتهمة بأنها تفترض علاقة آلية وجردة بين البنى التحتية (الاقتصادية) والبنى الفوقية(الثقافية) فعمل على إيجاد الكثير من الوسائط بين هذين المستويين مستخلصاً في آن واحد(رؤية العالم) لدى فئة اجتماعية ، ينظر: سوسيولوجيا الفن، ناتالي إينيك، تر: حسين جواد قبيسي، مراجعة: فواز الحسامي، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت، ٢٠١١م:٤٥.

(٤٠)– م.ن ٧٠ .

(٤١)– م.ن: ٦٩– ٧٠ .

(٤٢)– ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى، رواية ابي بكر الوالبي، دراسة: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية،ط١، بيروت– لبنان، ١٩٩٩م : ١٢٤.

(٤٣) – البنيوية التكوينية في المقاربات النقدية العربية المعاصرة: ١٧٥.

(٤٤) – البنيوية التكوينية في المقاربات النقدية العربية المعاصرة: ١٧٩.

(٤٥)– سوسيولوجيا الغزل العربي: ١٧٣ .

قائمة المصادر والمراجع:

- البنيوية التكوينية في المقاربات النقدية العربية المعاصرة، نور الدين صدار، عالم الكتب الحديث للنشر، ط١، الاردن، ٢٠١٨م.
- البنيوية التكوينية والنقد الادبي، مجموعة من النقاد الغربيين، تر: محمد سبيلا، مؤسسة الابحاث العربية،ط٢، بيروت– لبنان، ١٩٨٦م.
- تأصيل النص المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان، محمد نديم خشفة، مركز الانماء الحضاري، ط١، ١٩٩٧م:
- التحليل الاجتماعي للأدب، السيد يس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- تحليل الخطاب الادبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية(دراسة في نقد النقد)، محمد عزام، اتحاد الكتاب العرب، سوريا– دمشق، ٢٠٠٣م.
- دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي و د. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ٢٠٠٢م.
- ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى، رواية ابي بكر الوالبي، دراسة: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت– لبنان، ١٩٩٩م.

- سوسيولوجيا الادب، يوسف الانطاكي، تق: محمد حافظ ادياب، ط١، روية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م .
- سوسيولوجيا الفن، ناتالي إينيك، تر: حسين جواد قبيسي، مراجعة: فواز الحسامي، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت، ٢٠١١م.
- سوسيولوجيا الغزل العربي–الشعر العذري نموذجا، الطاهر لبيب، تر: مصطفى المسناوي، دار البيضاء، ط١، ١٩٨٩م.
- عصر البنيوية، أديث كيرزيل، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، ط١، ١٩٩٣م.
- في البنيوية التركيبية– دراسة في منهج لوسيان غولدمان، د.جمال شحيد، دار ابن رشد، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٢.
- مدخل الى سوسيولوجيا الادب العربي، محي الدين ابو شقرا، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت– لبنان، ٢٠٠٥م.
- المذاهب النقدية الحديثة– مدخل فلسفي، محمد شبل الكومي، تقديم: محمد عناني، الهيأة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط١، ٢٠٠٤م.
- مقدمات في سوسيولوجيا الرواية، لوسيان غولدمان، تر: بدر الدين عرودكي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٣م.
- النص والمجتمع آفاق علم اجتماع النقد، بيار ف . زيما، تر:انطوان أبو زيد، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت– لبنان، ٢٠١٣م .
- نظريات القراءة ، رولان بارت وآخرون ، ترجمة: عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار، اللاذقية، سورية، ط١، ٢٠٠٣م.
- نظريات معاصرة، د. جابر عصفور، دار المدى، سوريا، ط١، ١٩٩٨م.